فريق التحرير | نشر في ٢٣ يونيو ٢٠١٨,

عام على ولي العهد.. كيف ضاعت هوية المملكة بين أقدام الفقيه والسلطان؟

عام على تولي الأمير محمد بن سلمان ولاية العهد في السعودية، ارتقى خلاله هرم السلطة بسرعة شديدة، فاستحوذ على مناصب رفيعة وأزاح كل من حوله في البلاط الملكي، ليرسم خلال فترة قصيرة ملامح سياسة أثارت تساؤلات كثيرة، سواء على مستوى انتقال السلطة داخل المملكة أم بما اشتملت من سياسات خلافية بشأن وجهة المملكة خارجيًا.

سعودية الملك وابنه لا تشبه السعودية القديمة

حفلات مختلطة ورقص وموسيقى وغناء، تلك فعاليات ترفيهية باتت تُنظَّم في كل مكان وفي أي وقت، لكن الوضع كان مختلفًا قبل قرنين ونصف من الآن حين تأسست المملكة العربية السعودية الأولى (1744 – 1818) – كما يجسد علمها – بين تحالف سيف آل سعود ومذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حيث اعتمد العرش على الولاء المطلق للقبائل ونفوذ المؤسسة الدينية الوهابية.

تلك في الأعراف السياسية شراكة بين السلطان والفقيه الذي وفر للمملكة مشروعيتها السياسية والدينية، فكلاهما يدعم الآخر وينتفع به، وهكذا كان يبدو الأمر دائمًا في الظاهر، لذلك كان خطاب المملكة السياسي والاجتماعي شديد الحساسية تجاه صورتها الدينية لأن الملوك السابقين كانوا مدركين للقدرة المشروعية.

تاريخ العائلة الملكية حافل بالمواجهات في دولة تعرضت لفتن داخلية، أزاحهم آل رشيد عن عاصمتهم الرياض فلجأوا إلى قطر عند حاكمها الشيخ جاسم آل الثاني، واستضافهم آل الصباح حكام الكويت لسنوات، ثم استرد عبد العزيز بن سعود إماراة الرياض، ونجح في انتزاع مملكة الحجاز من يد الهاشميين، حينها أُعلن تأسيس المملكة العربية السعودية (23 من سبتمبر 1932).

تساقط أولياء العهد، أبناء وأحفاد، مفسحين الطريق أمام محمد ابن سلمان، حتى أصبحت المملكة دولة بلا محتوى سياسي أو فكري يمنح السلطة قوامها ومشروعيتها

صاهر الملك عبد العزيز شيوخ القبائل لتعزيز نفوذه وكون أسرة يزيد عدد أفرادها على 15 ألفًا، تداول الأبناء العرش من بعده واحتدمت المنافسة بين أفراد الأسرة في فترات مختلفة، لكن المملكة لم تجد في تاريخها القريب سنة "هائجة مائجة" كسنتها التي مضت منذ تولي الأمير محمد بن سلمان ولاية عهد أبيه قبل عام.

وتباعًا تساقط أولياء العهد، أبناء وأحفاد، مفسحين الطريق أمام محمد بن سلمان، حتى أصبحت المملكة – أو هكذا بدت لمتابعي شأنها – دولة بلا محتوى سياسي أو فكري يمنح السلطة قوامها ومشروعيتها، فالمشهد يتصدره أمير شاب يُوصف في تصرفاته بـ"الثور الهائج"، ومستشاران بدرجة رؤساء الدول وهما سعود القحطاني الذي يتولى إدارة العديد من الملفات السياسية، خاصة ضبط وسائل التواصل الاجتماعي.

أما المستشارالآخر كثير الألقاب فهو تركي آل الشيخ المسؤول الرياضي الأول في المملكة، الذي سيرتبط اسمه من الآن فصاعدًا بكأس العالم في روسيا، حصدًا لنتائجه وذمًا للاعبيه، وهو أيضًا كما يُطلق عليه "وزير تويتر"، وليس آخر جولاته الحرب التي تشهد تراشق التغريدات الحادة بينه وبين الاتحاد الأوروبي "اليوفا".

وتكشف السنة التي مضت من ولاية ابن سلمان للعهد قلة عنايته بأمر المبرّر الوجودي في السلطة؛ أي مكونها الوجودي أو الأيدولوجي، فقد رآها سلطانًا مطلقًا أدواته السيف والحزم، متغاضيًا عن مستحقات بقية العالم السعودي، إذ لأول مرة تبدو المملكة بغير حاجة إلى رجال دين ومفتين بعد أن تراجع سلطان المؤسسة الدينية واضطربت معدلات السيف والمذهب كما لم تضطرب من قبل.

بدا للمرأة السعودية حق قيادة السيارات والتوجه إلى دور السينما لكنها في نفس الوقت عُرضة للاعتقال

الزلزلة الاجتماعية ثمنها باهظ

الليبرالية الاجتماعية الجديدة التي أطلقها ابن سلمان وبلغت ذروتها في الحفلات المختلطة والسماح للنساء بدخول ملاعب كرة القدم وقيادة السيارات، قد لا تتوقف هنا، فالمطالبة ببقية "الليبرالية السلمانية" لم تسكتها أمسيات "المدن المالحة" (نسبة إلى رواية مدن الملح الممنوعة سعوديًا للروائي

السعودي عبد الرحمن المنيف)، لأنها مرتبطة بأقدس مقدسات الليبرالية وهي حرية التعبير.

الآن: القسط تصدر #تقرير_القسط_السنوي https://t.co/n9VJ6mBUeA

تقرير سنوي من منظمة #القسط، يصدر في الربع الأول من كل عام لرصد أهم الأحداث في العام المنصرم، لتوثيقها للباحثين والإعلاميين والمنظمات ومن يهمه الاطلاع على ملخص لأهم الأحداث المتعلقة بحالة حقوق الإنسان في السعودية. pic.twitter.com/8c2s4yVn1u

— القسط ALQST (@ORG_ALQST) March 30, 2018

وحين سأل رجال ونساء عن حدود الليبرالية كان جزاءهم الاعتقال والسجن بسبب تغريدة أو خاطرة مكتوبة، حتى بات الحديث رائجًا عما أسمته منظمات حقوقية بـ"عهد الخوف" في السعودية الجديدة، بعد موجة من الاعتقالات التي طالت مثقفين ورجال دين وعلماء، ففي سبتمبر/أيلول الماضي دُشّنت حملة من الاعتقالات ضد رموز ما عُرف بـ"تيار الصحوة"، حتى بلغ عددهم وفق منظمات حقوقية أكثر من 250، على رأسهم الشيخ سلمان العودة والشيخ عوض القرني والدكتور على العمري.

بدا للمرأة السعودية حق قيادة السيارات والتوجه إلى دور السينما، لكنها في نفس الوقت عُرضة للاعتقال حين حاولت ممارسة حريتها في التعبير

تلتها حملة اعتقالات أخرى تحت ذريعة "محاربة الفساد"، استهدفت أعضاء في الأسرة الحاكمة ووزراء ورجال أعمال أُودعوا في فندق "الريتز كارلتون" حتى سُمي بـ"سجن الأمراء"، وفُرضت تسويات معهم بنحو 100 مليار دولار، وفي منتصف مايو/أيار الماضي اعتقل 17 ناشطًا وناشطة حقوقية من التيار الليبرالي، حسب منظمة القسط المهتمة بالجانب الحقوقي في السعودية، وكان من هؤلاء الناشطات لوجين الهزلول وإيمان آل نفجان وعزيزة اليوسف ومياء الزهراني.

عاجل:

اعتقال الناشطة الحقوقية #مياء_الزهراني ..

وذلك في استمرار لعمليات الاعتقالات المتواصلة ضد الناشطات والنشطاء...

السلطات السعودية تعتقل مياء بعد ساعات من نشرها مقال عن #نوف_عبد العزيز...

القسط ترى أن السلطات حريصة كل الحرص على إخفاء جميع النشطاء، وإخفاء كل تعاطف معهم. pic.twitter.com/c14WQa224j

— القسط ALQST (@ORG_ALQST) June 9, 2018

بدا للمرأة السعودية حق قيادة السيارات والتوجه إلى دور السينما، لكنها في نفس الوقت عُرضة للاعتقال حين حاولت ممارسة حريتها في التعبير كالعديد من الناشطات ودعاة الإصلاح القابعات وراء القضبان، ولكن يبدو أنه سيمنح حق القيادة هذا فقط للواتي يلتزمن الصمت والهدوء، ويشبه ذلك مشهدًا من فيلم "عبر زجاج الشرفة"، حيث تعلن الملكة الحمراء أن ما يبدو واضحًا هو العكس تمامًا مما هو واضح في واقع الأمر.

لا يعرف أحد على وجه اليقين كم ستكلف الليبرالية الاجتماعية التي تخوض السعودية لججها بغير كتاب، كما يقول منتقدوها، فتحدي الفراغ الفكري سيواجه ولي العهد الحريص على خلق المملكة خلقًا جديدًا، ولكن بلا فكرة تقوم مقام الوهابية التي تُزاح عن المشهد شيئًا فشيئًا، فالمملكة الجديدة لم تعرف هويتها بعد ما تكون.

اقتصاد المملكة.. كثير من الوعود، كثير من الأعباء أيضًا

يبقى سؤال الثروة وقسمتها من أكثر الأسئلة إلحاحًا في دول الريع النفطي

ليست هذه المفارقة الوحيدة في العام الأول من ولاية عهد الأمير محمد بن سلمان، فكما كانت سنة ابن سلمان شحيحة في مجال حقوق الإنسان والحرية وإصلاح الحكم، كانت كذلك في وعود الاقتصاد، فقد وعد الأمير مواطنيه بتطوير اقتصاد المملكة ومحاربة الفساد، غير أن تقارير عدة تتحدث عن ثروته وبذخه، وتوقعات بنمو محدود بأقل من مستوى 2%.

وعلى قدر الوعود جاءت النتائج، فمنذ بداية العام الحاليّ طبقت المملكة أسعارًا جديدة للمشتقات النفطية بزيادة تراوحت بين 80% و120%، كما فرضت السعودية رسومًا مالية على المرافقين والمرافقات للعمالة الوافدة تتضاعف بدءًا من يوليو المقبل، ما تسبب في خروج العديد من المقيمين والبحث عن فرصة في دول أخرى.

وفي وقت وعد فيه الأمير الشاب بتوفير 1.2 مليون فرصة عمل في القطاع الخاص ضمن التحول الوطني في خطة 2020، بلغ معدل البطالة المعلن رسميًا بين السعوديين 13%، كما أن ميزانية عام 2018 تعاني عجزًا للعام الخامس على التوالي يتجاوز هذا العام 52 مليار دولار، بينما بلغ الدين العام نحو 182 مليار دولار العام الماضي.

في وقت وعد فيه الأمير الشاب بتوفير 1.2 مليون فرصة عمل في القطاع الخاص ضمن التحول الوطني في خطة 2020، بلغ معدل البطالة المعلن رسميًا بين السعوديين 13%

سيبقى سؤال الثروة وقسمتها من أكثر الأسئلة إلحاحًا في دول الريع النفطي (الدول التي تستمد كل أو جزءًا كبيرًا من إيراداتها الوطنية من بيع أو تأجير مواردها الأصلية)، فتجاور الغنى الفاحش والفقر المدقع يكشفان اختلال المعدلات الاقتصادية والاجتماعية.

ففي حين يشتري ولي العهد محمد ابن سلمان يختًا بـ500 مليون دولار، ولوحة للمسيح عنوانها "مخلص العالم" بـ450 مليون دولار بحسب صحيفة "وال ستريت جورنال" الأمريكية، وقصر في فرنسا بـ300 مليون دولار، فإن مئات الآلاف من العاطلين السعوديين سيكون عسيرًا عليهم تصديق أي وعود في المستقبل، سواء ما تعلق منها بجودة الحياة في خطة 2020 أم برؤية المملكة في 2030.

يأتي ذلك بينما تقوم الحكومة السعودية بإجراءات اقتصادية تقشفية غير مسبوقة بهدف تقليل الضغط على ميزانية الدولة مع تراجع أسعار النفط خلال الأعوام الأخيرة، وفي ظل محاربة الدولة للفساد التي طالت أمراء ورجال أعمال كبارًا، من بينهم ابنا الملك عبد الله، متعب وتركي، ووزراء سابقون ورجال أعمال، فكم ستكلف الضربة العنيفة التي تعرضت لها الأسرة المالكة في السعودية جراء تثبيت سلطة ابن سلمان؟

يفعل الأمير ذلك فيفعل مستشاروه، فقد نشر موقع "ميدل إيست آي" البريطاني منذ يومين وثائق تثبت أن رئيس الهيئة الرياضية السعودية تركي آل الشيخ اشترى سيارة من نوع "بوغاتي شيرون" الرياضية التي كانت موجودة بمقر شركة بوغاتي في فرنسا بقيمة 18 مليون ريال سعودي (4.8 ملايين دولار) في سبتمبر/أيلول الماضي، أي عقب توليه منصبه بأيام قليلة.

SAEED MOHAMED BUTTI AL QEBAISI

RECEIPT

RV NO. : 00001
Date: 9/Sep/17

SAR : 18,000,000.00

Received From: Turki Abdulmuhsen A. Alalshikh

Amount Received: Eighteen Million Saudi Riyal only

Mode of Payment:
CASH CHEQUE TRANSFER

Cheque No.: Bank Name: Date: 6/9/2017

Being paid for: Sale of Bugatti Chiron

Abu Dhabi Commercial Bank, AE810030000273689010001

For Saeed Mohamed Butti Al Qebaisi Received By: ff Lara Ibrahim

THANK YOU FOR YOUR BUSINESS!

Agreement of sale of Bugatti Chiron no 7.063

Between the Seller:

Saeed bin Butti Alqubaisi
Etihad Tower Building, 58th Floor, P.O. Box 48288
Abu Dhabi
U.A.E.

And the Buyer:

Turki Abdulmuhsen A. Alalshikh
7602 Jabal Marrah – Al Khuzama
Ar Riyadh 12581 -9404 ,
Kingdom Of Saudi Arabia

وصل استلام يوضح قيمة سيارة البوغاتي التي اشتراها آل الشيخ

وضع يتزامن مع تكلفة الحرب في اليمن، إذ قدرتها دراسة نشرتها مجلة التايمز الأمريكية بنحو 200 مليون دولار في اليوم الواحد، وهذا يعني أن السعودية أنفقت في عام واحد نحو 73 مليار دولار اعتمادًا على هذه الأرقام.

يأتي هذا بينما وقعت السعودية صفقات مع الولايات المتحدة بقيمة تجاوزت 460 مليار دولار، تبعتها 100 مليار دولار أخرى قدمها ابن سلمان خلال زيارته لواشنطن في مارس/أذار الماضي، ويعلق ابن سلمان على ذلك بأنه غني وعضو في العائلة المالكة الموجودة منذ مئات السنين.

سياسة ابن سلمان.. السعودية تصنع الشيء ونقيضه في الآن نفسه

تبنت المملكة مع بدء تصعيد ولي العهد السعودي نهجًا تصادميًا، فهنا حرب في اليمن، وقطيعة مع قطر واستنفار تجاه إيران، وشد وجذب مع ما يفترض أنهم حلفاء كالأردن والمغرب، كما صنعت المملكة بسياستها الداخلية والخارجية بيئة ضد الاستثمار فيها بما خلقت من محاذير ومخاطر، فاعتقالات فندق الريتز ما زالت ماثلة عند كل ذي مال.

كما أن ما أقدمت عليه السعودية والإمارات في العام الماضي من حصار لقطر وإضعاف لمجلس التعاون الخليجي بلغ حد الإجهاز على فاعليته بإنشاء مجلس التنسيق السعودي الإماراتي، جعل المملكة تتخبط في سياساتها، حتى انتهت إلى إضعاف نفسها وحلفائها معًا.

فالسعودية تسير على الحبال المتراخية، فهي تريد بناء تحالف إسلامي سني ضد إيران، وتشن عاصفة الحزم ضد الحوثيين في اليمن، وبعد أكثر من 3 أعوام لم تتمكن من الانتصار على جماعة هي إلى المليشيا أقرب من الجيش النظامي، وفي متغيرات الحرب غير المحسوبة في اليمن أُطلق 119 صاروخًا على السعودية من اليمن، وذلك وفق التحالف الذي تقوده السعودية.

تعمد المملكة إلى إضعاف حليفها السني في لبنان بعد المعاملة غير الكريمة التي تعرض لها زعيم تيار المستقبل سعد الحريري

وبناءً على هذه الواقع الميداني، توقف عمل معظم الشركات في المنطقة الجنوبية، وأُخليت قرى ونُقل آلاف الأشخاص من المناطق الحدودية، وقدرت صحيفة واشنطن بوست الخسائر البشرية للمملكة في المناطق الجنوبية بنحو 2500 جندي بمناطق جازان ونجران وعسير.

لكن المملكة نفسها وهي تحشد لمواجهة إيران تعمد إلى إضعاف حليفها السني في لبنان، بعد

المعاملة غير الكريمة التي تعرض لها زعيم تيار المستقبل سعد الحريري، وهو من كان يجب أن تدّخر قوته لمواجهة حزب االله وثيق الصلة بإيران مذهبًا وتسليحًا.

يدفع السودان بالآلاف من أبنائه للمشاركة في حرب اليمن، ويظل يتردى في أزمته الاقتصاديه على مرأى ومسمع قادة المملكة دون أن يخف أحد لنجدته، والنتيجة تنامي المشاعر الشعبية الرافضة للموقف السعودي بعد أن اشتبه عليه الفرق بين النفط والدم، فكلاهما لا يستويان. (الضغوط الاقتصادية مقابل الانسحاب).

وتستمر الضغوط حين يدخل الأردن ضائقة اقتصادية تهدد سلامه السياسي والاجتماعي، بينما الأشقاء الخليجيون في السعودية والإمارات يكتفون بالمشاهدة، بل قال الملك الأردني دون أن يصرّح إنه يتعرض لابتزاز سياسي لتغيير موقفه من "صفقة القرن" الضالعة فيها السعودية والإمارات لتصفية القضية الفلسطينية، ثم بدا للسعودية وقد رأت شارعًا أردنيًا يُذكّر بثورات الربيع العربي أن تسارع إلى عقد قمة من أجل الأردن الشقيق.

يدفع السودان بالآلاف من أبنائه للمشاركة في حرب اليمن، ويظل يتردى في أزمته الاقتصاديه على مرأى ومسمع قادة المملكة دون أن يخف أحد لنجدته

وعلى الصعيد الفلسطيني عُرف الملك فيصل بموقفه الداعم للقضية الفلسطينية، لكن اتهامات بالتطبيع والتقارب مع "إسرائيل" طالت بعض خلفائه، واليوم يطمح بعض أحفاد مؤسس المملكة لتغيير ملامح المنطقة بمباركة أمريكية، فقد برز الملف الفلسطيني خلال ضغوط سعودية مورست على الفلسطينيين لتمرير"صفقة القرن" وقبول ما يُعرض عليهم من تسويات.

المغرب قصة أخرى في الخذلان السعودي، فقد انضم باكرًا إلى عاصفة الحزم التي فقد فيها طيارًا وطائرة، وحين طمح لاستضافة كأس العالم عام 2026، فاجأته السعودية بالتصويت ضده، وخذلته مع 6 دول عربية أخرى دعموا جميعًا ملف الولايات المتحدة، خارجين على قرار القمة العربية التي عُقدت في الظهران الذي دعا لدعم المغرب.

وحدها قصة اختراق النفوذ الإيراني عن طريق التقرب من التيار الصدري كان من الممكن أن تُوضع في ميزان حسنات ولي العهد السياسية لولا أن الصدر كان وفيًا لأصوله المذهبية والسياسية، فانتهت المحاولة إلى فشل كبير، ربما لأن من فشل في بناء تحالف من الأقربين أجدر به أن يفشل في تأليف الأبعدين مذهبًا ومنهجًا في الولاء والبراء.

رابط المقال: https://www.noonpost.com/23837/